أسلاك شائكة

عن فتحي عامر الذي ذهب إلى البحر ولم يعد

أن تمتد يدك إلى الفكرة
أن تحصل على قليل من الماء لكي تتجرّع سحابه
أن تجلس إلى المائدةِ ليلاً
لتراقب فراشة ضالة
أن تعلق شمسـًا شاسعة على أنبوبة غاز
أن تذهب إلى الحرب
بقليل من الأصدقاء
وكثير من الخيباتْ
أن تقول للربْ
وأنت تفتح نافذة بيتك الوحيدة
عم صباحـًا أيها الرّب
أن تكتب على الأسلاك الشائكة قصيدة حب
لامرأة
لا تبادلك الرغبة
أن تنام عاريًا
وشبه أعزلٍ
حتى من فكرة الموت هذه
أن تجلس إلى جوار أحلامك
مثل الدببة الجائعة
والسحالي الضّخابةِ
أن لا تهتم بكل أفكار الفلاسفة
وكافة مزيفي النقود
ومخترعي الأسلحة الجرثومية
وآلاف الحروب الصغيرةِ التي تحدث في العالم
والتي يسفك فيها الدم للرُّكب
– وكل ذلك –
من أجل الفقراء

أن تطأ بقدميك المعوجّتين
ظلك الذي يتبعك
مثل كلب
أن تتخفف من كل أكاذيبك اليومية الصغيرةِ
بقليل من اللامبالاةِ
والضحك
أن تنزل النهر مرتين
في نفس الوقت
وأن تجفف قدميك
حتى من السمك الميت
أن تغمص عينيك قليلاً
وتحدق جيداً
في السماء التي تنسحب إلى الواقع
أن
تفكّك حياتك
مثل عربةٍ
وتقف بها على الأرصفةِ
لتبيعها كقطعة خردة !!
أن تبول على كل ما لا يعجبك في هذا العالم
بدءاً من الساستِ
والرؤساءِ
وانتهاءً
بكل رؤساء الأحزاب الخونةِ
أن تصلي صلاة مودع
وتترك العالم خلف ظهرك
مثل بيضة فاسدة!
أن تضحك بملء فمك وتقول
فليذهب إلى الجحيم
كل مشعلي الحرائق

وسارقي أقوات الشعب
أن لا يكون لك هدف
آخر في حياتك
في ظل الظروف الدولية الراهنةِ
حتى ولو كان الذهاب
إلى المرحاض !!
أن تسند رأسك إلى ظلك
مثل فكرةٍ تالفةٍ
وتضع إحدى قدميك
على الأخرى
ولا تعود تعبأ بما كان وما سيكون
أن تضع في سلة مهملات
كافة القديسين
المجدفي الأفواه
وكل الأنبياء الكَذَبَة
وتكومهم في حجرةٍ مترببةٍ
وتغلق عليهم بالأقفال
أن تأخذ معك البحر في نزهةٍ
خلوية
وبعيداً عن سياسة المد
والجزر هذه
أن تقبض على العدم من رقبته
وتدقه بالمدقات
فلا يعود يطاردك
أو حتى يؤرقك
مثل حشرةٍ بآلاف الأنياب والأجنحة
أن تسخر وبضراوةٍ بالغةٍ
من فكرة الزمانِ
والمكانِ

وتعتبرهما غير معقولتينِ
ولا إنسانيتين
أن تضع الحياة في جيبك
كشيء زائد عن الحاجة تمامًا
وتتبرع بها لأول عابر سبيلْ
أن تتوقف
عن صنع أوهامك اللامجدية
عن الخير
والشر
والإمام العادلِ
وسلطة الجماهير
عن الخير في ذاتهِ
والعدم المحض
وكافة أكاذيبك المدمرة عن السلام
والحب
أن تقول عن حياتك
إنها تشبه إطار سيارةٍ فارغ
أو عربة روبابيكيا
أن تجتث من رأسك كافة الأفكار الزائفة
عن العالم الآخر
وأساطيره اللامجديةِ
عن الجنة
والجحيم
والعود الأبدي
وتناسخ الأرواح
بينما الناس يتضورون جوعًا
في الشوارع
ويبحثون عن لقمة واحدةٍ في صناديق القمامةِ
كالخنازير

أن توقف رئيس الدولة
في إحدى الطرق الجانبية
لتسأله
عن فكرته الواضحة
عن العدل
والحريةِ
تلك هي على الأقل
حياة شاقةْ
لشاعرٍ عظيم !!

عن محمد مستجاب وزوربا اليوناني

لنسهر الليلة فوق جبل جلعادْ
أنت تدخن الحشيش
والماريجوانا
وأنا أتلقف حليب الزرقةِ الغاويةِ
لا تبتئس أيها السيد محمد مستجابْ
فليس للزمن وجود
وليس للمكان من معنى آخر
سوى تلك الروح القلقة
التي تتلفها وراءك
مثل سلة من المحار
أو تلك الفكرة التي تقيم عليها مقبرتك
وبعيداً عن مدار الجاذبية
تحت قبة السماء التي تغويك
وليس ثمة شيء يمكن ليدك العليلة هذه أن تكتبه
سوى تلك النثرات الصغيرة
من السيرة الذاتية لبطلك المفضل
نعمان عبد الحافظ

لا!!
لن تمر عليك أوائل النسيم
وكما كانت تفعل من قبل
لا ولن تخطفك بنات القمر المسحور
لتلف بك على جمل أعرج
في ليالي الحصاد
والصيف
وسوف تتوقف بمفردك – ولمرةٍ استثنائيةٍ –
عند حقل من الفلِّ البلدي
والذرة العويجة
لتجمع القليل من الحطب البارد
والحشائش الذابلة
لزوم ما يلزم
وما لا يلزم
أعرف
أنك في الفجر سوف تغادر هذه القرية اللعينةَ
ديروط الشريف
وسوف تركب حصانك الخشبي
وتحمل فوق ظهرك بقجتك الخالية
كصياد لضفادعَ بريةٍ
وسحاليْ
وتخرج إلى الغيطان المغبشة بالجوعِ
والسّل
لتتأمل قطرةً صغيرةً من الندى الجارحِ
تقف شاردةً
على ذؤابة شجرة التوت التي أطعمتك
لبنها الحاف
وآوتك في حضنها الرحيم لبضع سنين
وها أنت ذا

تقاتل الزمن كأحد البدو الرّحل
أو المتسولين العتاةِ
وهو يقترب منك بأسنانه الفرّاسةِ
ونواجذه الصدئةِ
ربما
يقترب الفجر منك
وأنت في حالتك هذه تدعك عينك المعطوبة
بعصير النومِ
والتوتياءِ
لتتأمل كم هي جميلةٌ كل هذه النجمة
وكم هو فاتن كل هذا العالم !!
ولم يكن يشغلك الأخوة كارامازوف في شيء
ولم تفكر لمرة واحدة في مصير راسكولينكوف
الاستثنائي
بل على العكس من ذلك تماماً
كنت كشجرة سروٍ ضريرةٍ
على كافة السكك التي تسكنها في الليل
وتحمل في جيب بنطالك المرقع
قصة تشيكوف الأثيرة لديك
– موت موظف –
إلا أنك وفي الحقيقةِ
وكما صرحت بذلك أكثر من مرّةٍ
كنت مفتوناً بشخصية واحدةٍ على الأقل
هي زوربا اليوناني
ذلك العدمي الرائعُ
المفتونُ بالعالم
والساخرُ الفذ من كل شيء في هذا العالم
بدءاً من الموت
وانتهاءً بالوجود ذاتهِ

مما جعلك تركب كافة القطارات المتعاكسة
في نفس الوقت
لتطل على العالم
من شرفته الساخرة
المليئة بالحكايات المرة
والأكاذيب السوداء
الأمر الذي كلفك ثلاثة مليمات ونصف
دفعتها عن طيب خاطرٍ
لقاء تلك الرحلة المقدسة
التي بدأت من ديروط الشريف
وانتهت
على عتبة الرب الرّنانة
بضحكةٍ ساخرة
وها أنت ذا
تحمل بقجتك الأثيرة لديك
والتي تمتلئ بالضفادع البريةِ
والسحالي العملاقةِ
لتقف بمفردك تحت تلك السماء الواطئة بنصف عين
كأحد القراصنة القدامى
في انتظار أن تفتح لك السماءُ
أبوابها الواسعة
ودون أن تعطلك
ولو لدقيقة واحدة !!

يوسف الصائغ

ولأنك أكثر من شاعر
سأعلق قمراً أخيراً على باب بيتك
ولا أدع العتمة تتسلل إليك أبداً

أنت أيها الضليل الذي لا يلعب إلا مع النجوم دائمـًا
ولا ينام إلا في بيت الطاعةِ
سنواتك العارية التي أنفقتها بمفردك
وعبر زنزانات الوطن
لم تكن سوى حقل حناناتٍ
وأودية ماس !!
بماذا تفكّر الآن يا صديقي اليسوعي
وعلى أي دكةٍ خشبيةٍ تجلس في شارع السعدون ؟!
ربما
تجلس تحت قدمي أبي نواس
ذلك القابع في ركن الذاكرة الخربةِ
كتمثال لأحد الأنبياء القدامى
أو ربما أحد مقاتلي جيش علي بن محمد!!
هل تبني نفقـًا في الأرض
لكي تصعد إلى السماء خطوةً خطوةً
أم تقف وحيداً على جسر الحريةِ
لكي تجمع الدماء التي تتساقط من تمثال بدر شاكر السيابْ
وقصائد عبد الوهاب البياتي
وحنجرة سركون بولص
ومن سروال قديم لجان دمّو
سقط فجأة
تحت سنابك الخيل المغولي
لكي ترفع مذكرة إلى السماء
التي تتهمها فيه وبعمق
بالانحياز الكامل إلى قواتِ التحالفِ
لا تبتئس
أيها الولد المحب !!
لا تبتئس
فلأنك أكثر من شاعرٍ

وأكبر من خطيئةٍ
مقدسةٍ
سوف تأخذك الشفقة قليلاً على ماء دجلةَ
الذي صار بلون الدمِ
وسوف تقعد على الرصيف الموازي لفندق الرشيد
والذي صار مركزاً لقيادة قوات التحالف
بعدما كان يتجمع فيه كوكبة من الكرادلة الشعراء
ومحبي الوطن
بعيداً عن أعين الديكتاتور
لتجمع ألف جمجمةٍ
وجمجمةٍ إلى جوار ألف نجمةٍ ونجمةٍ!
وسوف تخرج في الليل كالضلّيلِ تماماً
وكما يفعلُ آخرُ قط بريٍّ
لتضع – كذلك – ألف رأس مقطوعةٍ
كتذكار أخيرٍ على الحرية
وتضعها في سلة من النخيل
والقصب العراقي
بينما تُدخلُ يدك في جيبك الذي صار مثقوباً
مثل وطنك
تماماً
– بفعل الرصاص
والخناجر المدببة
وطائرات الأباتشي
ونظارات الرؤية الليلية –
لتُخرج مليارات الأحلام التي سقطت على الأرض فجأة
وداستها الأقدام المتوحشة لجنود اليانكي
وأحذية المجنزرات الثقيلة
والتي نسيها أصحابها في لحظات الجحيم
والقصف

ولتتناول وجبة من الخبز
والزيتون
مع صديقتك الحرية
على كرسيٍّ بائس
في مقهى شعبي من مقاهي الكرادةِ شرقْ
أو سوق الشورجة
كل ذلك
وبعد أن تكون قد استيقظت تماماً
في العاشرة صباحاً – كما هي عادتك دائماً – كوعلٍ
وأعمى
لتبحث عن نجمةِ الفجر
التي أفلتت !!
ومثل جنرال الجيش الميت في رواية إسماعيل كاداريه
سوف تظل تبحث عن أسماء الشوارع التي اختفت
من على الخريطة تماماً
ونهائياً
وكذلك عن عددٍ من نياشين أصدقائك القدامى
التي دفنوها
في المقابر التي تملأ الهواء
ولا تظهر إلا عبر شاشات التلفاز
بينما يظهر السيد جورج بوش كأحد رعاة البقر
في صحراء السماوة
أو على حدود الربع الخالي !!
هل تفتش عن الكلمات الأخيرة لكناسي الشوارع
وبائعي المرطبات
والجيمر
وقبل القصف الأمريكي للمدينة بثلاثِ دقائق
ونصف ثانية على الأقل؟!
صديقي يوسف الصائغ

أيها اليسوعي
ليست الشوارعُ التي نعرفها بسيماها فقط هي التي اختفتْ
وإنما الشعراءُ كذلك
أولئك الغواة الذين قرّروا في لحظةٍ واحدةٍ
أن يهجروا المدينة – مرةً –
وإلى الأبد
بلا قصيدة شعر واحدة
أو حتى تفعيلة رجز أخيرة
مما أجبر المدينة الحزينة أن تمشي وراءهم
وهي بملابس الحداد
وكما يليق بشعراء غادروا المدينة
ودون أن يذرف أحدهم دمعة واحدة
على بوابةِ بغداد
أو البصرة
أو تحت تمثال بدر شاكر السياب
على شط العرب
وإنما أخذوا يكوّمون أوجاعهم
والتي تشبه حويصلات الطير
في أنبوباتٍ اسطوانيةٍ
حتى لا يتعرف عليها أحد
أو يسألهم رجال الجوازات عن مصدر تلك الأحزانْ
والتي نجحوا في تهريبها أخيراً
وبعد صعوبات جمة وبعيداً عن السلطاتِ
التي أخذت تصوب بنادقها
نحو قلوبهم
التي تحمل خرائطَ سريةً لأوطانهمْ
تلك التي أخذت تنمو من جديدٍ
مثل فطرٍ
على رئةِ البحر.

إبرة الحظّ

بمعاولنا الصدئة هذه
سوف نكنس حجارة السماء الواطئة
ونتوقف قليلاً على إبرة
الحظْ
لا
لكي نحكي عن سمكة الروح الشريرةِ
أو حتى نفتش عن القوة الدافعة
للتطور الخلاق
لهذا العالمِ
أو ذاك
بل
لنتوقف بإزاء حياة عابرة
لا تلبث أن تزول
أو حتى تختفي
تحت أول بلطةٍ
لعابرِ سبيلْ !!
وسوف نطوي السماء العليمةَ كذلك
بيدين عابرتين
وخاليتين تمامًا
من الفوضى !!
حتى إذا ما وصلنا إلى الطرف الأقصى من هذا العالمِ
ودققنا النظرَ
في كل تلك الفجوات العميقة لثقوب السماء السوداء
أدركنا على الفور
أننا دخلنا غابةً متفحمةً
من التصوراتِ
والرؤى

والتي لا تلبث أن تتلاشى
وأن الزمن ما هو إلا ساعة ميكانيكية
تعمل وببطءٍ
وفق الإرادة العمياءِ لكل هذا الكونْ
وأن ما كنا نحسبه هو الصواب بعينه
كان هو الخطأ الفادح
في نفس الوقت !!
فإذا ما بحثنا هناك بحرية وعمق عن الله
ذلك الجالس على عرش العالم
بقدميه الهائلتين
وملائكته الغلاظ
أو حتى
أي أثر من آثاره البطوليةِ المخلوطةِ بالنعاسِ
والزمنِ
أدركنا على الفور أننا
كنا نبحث عن إبرة الحظَّ
العاثرةِ !!

حطّاب البهجة أو ملاك النظرة الأخير

[في مديح السيدة ج. عبد الحفيظ
المرأة التي بكثافة الملائكة وخفة النسيان!!]
عيناكِ
تخترقان حجب الزمن
والنسيان
وتحطان هنا أو هناك على صخرة الروح
التي تندثر
مثل فكرةٍ بلا خطأ واحدٍ
أو حتى ملاحظةٍ أخيرة من أحدْ !

أيها الزمن !!
أيتها الحشرةُ السامةُ
و يا صانع السرادقاتِ
والعزمِ
كيف حافظتَ وعبر كلِ هاتيك السنوات
بمهارة لاعب سيرك
وحذق عازف أورج ضريرْ
على هاتين العينين الواسعتين
الرائعتين
وذلك رغم صخورك التي تنحدر
ولم تقدر يدك المسننة هذه
أن تزيل من على حوائط الذاكرة الدبقة
شكل الضحكة الوحيدةِ
التي برنّة الفراشات
وحيوية جذع أعزل
ولم تعد تعرف كذلك
– حتى ولو لمرة واحدة –
وعبر أنيابك القوية
أن تقتلع من على مرآة الزمن الضحلةِ
هواء تلك المرأة الغامضة التي تسكن الروح
بكثافةِ الملائكةِ
وخفةِ النسيان
تمهل أيها الزمن
تمهل!
ولا تكن مثل بحار وأعمى
فصوت خطواتك العليمة المدربة يتردد عبر كل شيءٍ
بدءاً من الضوء الرّاسخ
وانتهاءً بلحظةِ الموت الرنّان
وحفلاته التنكرية

وذلك
رغم أن نظّاراتك التي تجري على المحطات
والأرصفةِ
لتمسح كل شيءٍ على الأرضْ
لا تترك سوء بقع من الغبار والدم
على سلم الذاكرةِ المتآكل
أيها الزمن !!
يا حطابَ البهجة
توقف
واترك – ليْ – تلك الضحكةَ الناعمةَ التي تحتفظ
ببلاغة النسيان الخالص
وفكرة الضوء
ولا تجلس على باب بيتي مثل حدّادٍ
بسنديانةٍ
ومطارقَ
واترك لي قليلاً من الوقت
حتى أتذكر تلك الشفة التي تعمل كمستعمراتٍ نائيةٍ
وقبل أن تتحول إلى قارةٍ
غارقة!!
أيها الزمن
يا حطاب الموت
و يا خطاف الزمن
لا تترك لخيولك الصاهلة المتوحشة والمدوية
عبر الأفق
وزنزاناتك الواسعة بحجم الهواءِ
أن تدوس بحوافرها التي تطق بالشرر والحتف
على تلك النظرة اليتيمةِ
الملقاةِ
على قاع الذاكرةِ

كتذكار أكيد لبحارٍ ميت
وعلامةٍ نهائية
على صلابةِ هذا العالمِ
وتماسكِهِ .. !

الشيخ الرئيس ابن سينا

ترى
لماذا أغمضت عينيك عن طريق الجنة الآن
ووقفت بمفردك على مفازة الجحيمِ
مثل كلبِ صيد
يتشمم أخطاءه التاريخية
ويلحسُ ذيله الطويل بتمعنٍ
وأنفةٍ
فيما يبحث لنفسه عن مستقرٍّ
ومستودعٍ
في مسلسل العقل المنفعل تارةً
والعقل الفعّال تارةً أخرى !!
وفيما كنت تبحث كذلك عن مراوغة العقل الإنسانيِّ
في كافة الخرائب التي خلفها وراءه الرب
كنت تتشمم الضوء بأذنيك المدربتين جيداً
على السمعِ والطاعةِ
بينما يقبع في داخلك ذلك الشيخ المسنّ
الذي يقبض بكلتا يديه
على حشرة الرغبة السامةِ
والصلاة القائمةِ
كما كنت ترى أيها الشيخ المسنّ – وبمجرد النظرِ –
أن الزمنَ مثل حفنةٍ من الغبار
يمكن لك أن تستدرجها أو تختزنها في أواني الذاكرة الهَرِمَةِ

ويمكن لك – كذلك – أن تستنبتها في أصصٍ من العَاجِ
أو البلاستيكِ
كما يمكن لك أن تلمسه أو حتى تدركه بالعين المجردةِ
وتستطيع أن تفعصه ذلك الزمنُ الكلبُ
مثل بعوضةٍ لزجةٍ
حتى لا تتعطل آلة الرؤية الوحيدة التي لديك
أو تشغلك عن مراقبة تلك الطيور السماوية الضالةِ
التي تهبط عليك من الجحيمِ فجأة
أو تتنزل من الغيم
مثل طبق طائرٍ
وها أنت ذا تفركه في لحظة من العمى
والتعب
الزمنْ !!
بين أصابعك الخمس
لتتخلص منه وبحركة عفويةٍ مثل نغمة نشازٍ
أو كشيء زائدٍ عن الحاجة تمامًا
إذ ليس ثمة معنى لكل هذا العالم
سوى الفوضى !!
هكذا
وكما يفعل السفهاءُ من الناس تمامًا
رحت تجلس على السكك التي تمتلئ بالبعوض والقُمَّلِ والذبابِ
والوحوش المدربة على القنصِ والقتلِ
وكافة الفرائس التي تنهش لحمك الحيّ
وكلاب السلطةِ ذات الرائحة الزنخةِ
لتعرض عليها في أوقات فراغك
ومعاناتك
بضاعتك المزجاةَ عن العقل المنفعل تارةً
والعقل الفعّال تارة أخرى
ولم تكن وحدها تلك كافة المرايا التي تحملها بين جنبيك

مثل حبةٍ من خردلٍ
أو هي ثمرتك الطازجةُ الوحيدةُ التي تحتفظ بها في جرَّتك
أو تحت قبو بيتك المزدانِ بالجماجم الفارغةِ
والمجلدات المنقوعةِ في الماء الآسنِ
والنعاس الحارّ
وإنما تلك الروح المتأنقةُ الشرهةُ
والتي تقف شامخةً
على بوابات الجحيم
وكافة القلاع الصدئة الرّاسخة
للروح التي تهيم دون أن تعبأ أو تهتمّ
بكلّ تلك الطيور السماوية الغريبة ذات الرنينِ
من فصيلة العين الواحدةِ
والتي ترفرف بمناقيرها المعوجة عاليًا
بينما تقف كافة الأفاعي التي هربت من الجحيم فجأةً على مقربة منك
لتلتهم ثمرتك الغضّةَ
التي تفرعت
على كافة الطرقْ.

سليم السامرائي

لماذا يطاردني صوتك أيها الخنزير البري
مثل مجنزرةٍ على بوّابة أم قصر
ألا زلت تأكل – الجيمر – و – السمك المسجوفَ – تحت طهيرة واطئةٍ
وتتحسس خلايا جسمك المعطوبةَ
خلية خلية
لتنقيها من الشظايا العالقة
والدم المغشوش
وطلقات العدو المطاطية
وأنت تتمشى بمفردك على شاطئ الفرات

طيلة ثلاث ليالٍ سوياً
لم تتذوق فيها طعم النوم ولو لدقيقة واحدةٍ
ولا تكلم الناسَ إلا رمزاً
خشية أن تصيبك الطائراتُ المغيرةُ بالقنابلِ
الفسفورية
وأرق الصحيان الدائم
بينما تمسك بيدك الأثيمة نجمة الفجر التي لا تطلع أبداً
وأنت تقف في الظلام كمتسولٍ وأعمى
– أمام بوابةِ هارون الرشيد –
منتظراً أن يخرج الحجاج بن يوسف الثقفي
وفي يده مسبحته الكهرمانيةَ
وسيفَه المصنوع من الذهب الخالص الذي يلوّح به على الخوارج دائماً؟!
ألا زلت تتذكر الإمام على في خطبة الجمعةِ
وهو يندد بالاحتلال الأمريكي للمدينة المقدسةِ
في النجف
وكربلاءَ
بينما يقف الدم العراقي ضريراً
وشبه أخرسٍ
وهو يشاهد جثة الحسين
ورأس الإمام جعفر الصادق وهى
تجرجر في الشوارع على مرأى ومسمع من العامة
ورجال المخابرات الأمريكية
– كحالةٍ عبثية للتاريخ الإنساني –
في نوبة من نوبات ضحكاته الساخرةِ
بينما تحتفظ أنت ومثل تينة معطوبة بين شفتيك المجففتين
بنجمة منطفئةٍ
كنت خبأتها في زمان الطفولةِ
ونزوات الصبا الجارحة :
يا زمان الوصل بالأندلس

جادك الغيث إذا الغيث همى
لم يكن وصلك إلا حلمـًا... !!
أيها المعتزليُّ الأثيم
ألا زلت تتذكر عبد الوهاب البياتي
ببدلته المغسولة بماء السماء
والمصنوعة من القصب العراقي وجمّار النخلِ
فيما كان يخبئ في جيب بنطاله الكاكي قمراً عراقيـًا
نجح في تهريبه أخيراً
من أربيلَ إلى السليمانيةِ
ليستقر فوق جبل قاسيونَ
بينما يجلس على أرصفة دمشق كأحد الدونكشتيين العظام
ليلقي بقصائده التي تشبه الهواء
إلى الهواءِ
ويمسك بكلتا يديه صنّارة الريح
وكثيراً من الموشحات الأندلسية!!
ألا زال بدر شاكر السياب
يقف بمفرده على شطّ العرب
ويتذكر وفيقةَ وجيكور
أم أن الطيور السماوية التي هربت من القصف المدفعي
والصاروخي
لتعبر الفراتَ
ما عادت هي الأخرى تحطّ إلا على بوّابات أبي غريبْ
ومعسكر الرشيد للعراقيات المحْصنات
والنشامى
وتقف مكبلةً أمام جون أبي زيد
والحاكم العسكري السابق للمدينة السيد برايمر
هذه الطيور التي تقف مكسورةً أمام مكتب الـ UN
وقوات التحالف
لتتلقى المعونات اليوميةَ من الخبز والدقيق

وتنظر إلى الحرية باعتبارها أحد التماثيل التي صنعها الديكتاتور
في أيام مجده
ولتشكل في نهاية الأمر طبقًا اصطناعيًا
لا يلتقط سوى الإشارات الإلهية للسيدين جورج بوش وتوني بلير
وهما يقفان في شرفة فندق الرشيد
– باعتباره المقر الصيفي لقيادة قوات التحالف الأجنبية –
وها أنت ذا تضحك في كمك الذي يمتلئ بالأغانيْ
بدءاً من أغنيات القبانجي
وناظم الغزالي
ونازك الملائكة
وانتهاءً بصوت كاظم الساهرِ
وهو يقف على بوّابات بغداد
في انتظار أن يحصل على تأشيرة الدخول إلى الرصافةِ والكرخِ
– عيون المهابين الرصافة والجسر –
لكي يغني لكل العصافير التي هربت من بغداد
في ساعة القصف الرحيم للمدينةِ
وظلت واقفة على الحدودِ
في انتظار أن يسمحوا لها بالمرور
من بين كل تلك الأسلاك الشائكةِ
وأختام الـ CIA
ما الذي يجعل الهواء جريحًا وإلى هذا الحدْ
ما الذي يجعل الزمن يلبس شارة الحدادِ
وهو يجوب شوارع الأعظمية بحثًا عن جبرا إبراهيم جبرا
وسركون بولص، وسعدى يوسف، وحسب الشيخ جعفر
ويوسف الصائغ، وجان دموّ، وجواد الحطاب
وخزعل الماجدي، ومحمد خضيّرْ في درجة حرارة 45 مئوية
تحت الصفر
محمد خضيّرْ ذلك الأخضرُ الأخضرُ
القابع في ركن من أركان البصرة كأحد العشتاريين القدامىْ

ليراقب التاريخ من فوهة غرفته التي تشبه السجنَ
وهو يمرّ تحت شرفتهِ حاملاً في بقجتهِ
أحذية جانكيز خان وأوسمته
ورايته المصنوعة من جمجمتينِ
وعين منجرحةٍ
فيما يعبر الفرات على كتب اللغة والنحو
وديوان المتنبي
ومخطوط التوحيدي في الإشارات الإلهيةِ
ويدهس بنعليه الثقيلتين
رأس واصل بن عطاء
فيما يبول بتلذذ وأنفةٍ على المنزلة بين المنزلتينِ
ويجرجر وراءه ملايين الجثث
التي حولت ذلك النهر الكبيرَ
إلى دمعةٍ منكسرةٍ
بحجم السماء !!

جواد سليم

يدك
التي تنسج من حجارةِ الطريق أنشودةً قويةً
وتشبه السِّل العراقي
لبغداد الجريحةِ
في ساحة التحرير
يدك هذه
وردة حمراءْ
فوق سترة العمالِ
والموظفين
وبائعي الجيمر
والمرطبات

كنت يا جواد سليم تعرف كيف تخلط الملاطَ بالسماء
والمشاحيفَ
بجامعي البوص
والسمك الميت
لا لكي تشم هواء الحرية الضخم
عبر اللوحة
وإنّما لتقتنص من الضوء خيطًا سميكًا
ويشبه الدم
في تأوهاتهِ
وأنت تمسك الفرشاةَ
بأصابعك التي تعرف كيف تضع المتنبي
بجوار رشدي العامل
وبدر شاكر السياب
إلى جوار الحلاج
والسهروردي
والجنيد في سلةٍ واحدة
مع شيركو بيكه س[1]
وألف ليلة وليلة إلى جوار نهج البلاغةِ
وشرح ابن أبي الحديد
لتجليات الإمام علي بن أبي طالب
ولم يكن ينقصك في تلك اللوحةِ زهوةَ اللون
بقدر ما ينقصها الإطار
وكنت – أنت يا جواد سليم – ككل قصاصي الأثر القدامى
تعرف كيف تتبع طائر القطا من بلدٍ إلى بلدٍ
في تأرجحاتهِ
عبر صحراء السماوة البالغة القيظ !!
ما الذي ينقص لوحتك الآن يا جواد سليم

---

(1) شاعر كردي كبير.

أهو اللون الأزرقُ
أم قلم الكحلِ
الذي علقته في رقبة أبي نواس
ذلك القابع في ركن مهملٍ من المتحف الكبير
وهو ينظر من خلف نظّارتيه السميكتينِ
إلى خشفتي جنان المستدقتينِ
وصدرها المُفلِق
كحبتي رمّان آسيويتين
بينما تمسك بكأس الخمرةَ وتمضع بين شفتيك الكهرمانيتين
أغنية القمر العراقي اليتيم
ما الذي ينقصك الآن يا صديقي جواد سليم
أهو القبانجي في مقام الصّبا
أم هو ناظم الغزالي
تحت خيمة الحجاز كار ؟!
وهو يصعد السلم الموسيقا بطبقاته المأخوذة طبقةً طبقةً
فوق دجلة الكليمِ دائمـًا
هل تنقصك مخطوطات الخليلَ بن أحمد الفراهيدي
في علم العروض
أو لسان العرب لابن منظور
أم أغنيات البدو الرّحل
وأناشيد الرعيان الأوائل
فوق جبل حاج عمران
ومندلي
وعلى مشارف زاخو الملآنة بالجوعى من الأكراد
وهم يجمعون في صفائحهم بَعْرَ الآرام
من فوق حقول الألغام التي زرعتها قوات التحالف
فوق نجمةٍ مرتدةٍ
هناك
بجوار مقبرة الإمام علي

وضريح السيدة فاطمة الزهراءِ
بينما
يقف فائق حسن بقدميه الخشبيتينِ
مثل طائر الحجلِ
لكي يرسم حصانـًا بريـًا
بحجم دمعة الربِّ
الكسيرة!!

صلاة قانا

نحن الذين أتينا في زمن الغزواتِ
والحرب
ولم يكن لنا من حظٍّ لنتوقف قليلاً تحت كل هذا الهواء
وكل هذه الشمس
نحن الذين توضأنا بالدم
في اليوم والليلة خمسَ مراتٍ على الأقل
نحن الذين صمدنا
ولآلافٍ من السنوات
فوق هذه الأرض
لأنه لم يكن لنا من أرضٍ
غير هذه الأرض
حتى تَحسسْنا الهواء بسواعدنا المكلّلةِ
باليقين
والرغبةِ
نحن الذين أنبتنا ضحكةَ الفجر الرّنانة
وبلباقةٍ
على حافة الليل الكليم
ولم يعد لنا من مبرر خالص وداخل أسوار كل هذا العالم
سوى أن نتوقف بإزاء صلواتنا التي لا تنتهي

وكلماتنا التي تشبه الروث الجاف
حتى يغمرنا السلام
وتعمنا
النعمة
بدلاً من اليأس
والعمى
نحن الذين أجلسنا النهار حتى على صخرةٍ مبلّلةٍ
وبجوار صرخاتنا المزنرة بالألم !
كنا
نتعلم كيف نمضى أوقاتنا الضحلةَ
بجوار ضحكاتنا التي تشبه الحصى
لا
لن يهزمنا كل هذا النهار
بمراراتهِ
وخيباتهِ التي لا تنتهي
لا
لن يهزمنا كل هذا الليل بجيوشهِ الجرارةِ
وأسلحته التي تشبه القنابل العنقودية
لا
لن نتوقف بإزاء كلمات العدو المطاطيةِ
وضرباته الساحقة
ومعاوله المسننة بالخرابِ
واليأسِ
وسوف نتوقف بإزاء كل هذه الوردةِ
لنتعلم منها معنى الربيع
لا لن نتوقف عن السمع والكلام
ولا حتى عن فطرة النظر
لأننا نعرف كيف تتسع حلوقنا للغناء دائمـًا
وكيف تتطلع عيوننا

إلى شرفة الفجر الميّالةِ
سوف نتشبث بالأرض
ومثلما نتشبث بالهواء
والحلم
وسوف نقولُ لأطفالنا
أمكثوا قليلاً فوق كل هذه الأرض
إلى أن تطلع نجمة الفجر
يكفيكم كل هذا الندى
يكفيكم كل هذا العشبْ
وتكفيكم كل هذه الأغانيْ
وسوف نقولُ لكم أخيراً
اغفر لهم يا أبي
ومثلما غفرت للذين من قبلهم
لأننا
ومن فوق هذه الأرض
نعرف كيف نحيّي السلام
بأذرعنا التي تنز بالدم
والشرف !!

لم يكن هناك أحد ليبكي عليَّ

إلى جميله حسن نصر
أمي!!

لم يكن هناك أحد ليبكي عليّ
لقد استشرت أنفاسي
كانت أوردتي تتطلع إليّ بضجرٍ و حناناتْ
لقد استشرت مفاصلي
كانت روحي تتوكأ على عكازٍ

وأعمى
مشوهٌ
أبكمُ
وأصمْ
إلى درجة الفطام
انتظرت ألف سنة وأنا أتابع صراخاتي
التي تشبه جوف القفر
أو تلك الكاتدرائيات المفخّخة
كانت جراحي التي تصّاعد إلى السماوات
مثل درّاجة هوائية
وفي فجواتٍ
بحجم الكرة الأرضيةِ
لم يكن هناك أحد ليبكي عليّ
فقط
كانت هناك
ضحكاتي التي تُشبه الأرَضَة
وكلماتي التي تتفوّق على العدم ذاتهِ
لم تكن تلك حياتي التي أريد أن أبتكرها
لقد كانت أحبولة
وبصدق
الأمر الذي كلفني أنشوطةً قويةً
لكي أطارد الريحْ
لقد كنت أطارد الأسى
لا الدمعْ
كان الدمع مثل قمرٍ متفحمٍ
على عين فراشة منجرحةٍ
وكان الأسى مثل أسد رابضٍ في الفمْ
وكنت أتلاعب مع الفوضى
بيأسٍ كاملٍ

وعصى بخيباتٍ
وشخاليلْ !!
وهأنذا
أعطّل درّاجاتي الهوائية على شفير الهاويةِ
لأركن حذائي المتسخ بالعالمِ
على رصيف السماء الخالي من المارّة تماماً
كيف لي
وأنا الجالس على فوهة العدم هذه
أن أطأ كل هذا العشب الشوكيّ
والطحالب المسننة
التي تنمو وبغزارةٍ على عشبة الروح المسوّسَة ؟!
ومن أين لها أن تعرف كل هذه الطحالبْ
ما هو الألم ذو الأنياب والوطءْ
ولا ما هو الزمن ذو السكاكينِ والأيدْ
أو ما هي الروح ذات الصدعِ
والحراشفْ!!
وبأية آلةٍ حادةٍ يمكن لي – أنا الجالس
على سفينة النسيانِ
هذه –
أن أكشط من على هواء الذاكرةِ المالحة
كراهيتي الكاملة
لكل هذا العالمِ
كيف لي أن أقلب كل هذه المائدة من الأساطير والخرافات
التي يجلس عليها الرب
في مواجهة الشيطانِ
بينما هما في عراكٍ دائمٍ من الأزلِ للأبدِ
وأنا بينها مثل كلبٍ وبلا يقين
كيف لي أن أصرخ بملء فميْ لأقول
إن الجحيم إحدى شراكه القوية

حول روحي التي كلّت من الوطء
والوخذ !!
كيف لي أن أقول إن الوجود الإنساني
فارغ
ومثل حشرة في دورة الزمن
وأن العنف في الساعات
سوف أجلس على رصيف الحياة المبجّل
وأتابع تحركاتي إلى أن تحتضرْ الشمس
أو تمور الجبال مورا
وبلا يأس كامل
أو حتى ندم بليغ
سوف أترك لروحي المتسخة أن تنام
على عجلة الأبديةِ
إلى أن تكتشف هي الأخرى أن الوجود لا شيء
لقد كانت حياتي لعبةً خاسرةً بالأساسْ
أو مسرحية فجةً على طول الخطِّ
أسرفت في البكاء لحدّ الضحك
وأسرفت في الضحك لحدّ البكاء
أنتهز هذه الفرصة لأقول
لقد كانت حياتي .. بصلة وبلا شفاء من أحدٍ
أو حتى ربيع وحيد !!
لقد عقدت اتفاقًا نهائيًا مع العالم
أن آكل أمعائي في الصباح
وفي الظهيرة
أجلس إلى طاولتي الخشبية لأنظفها
من كل تعب النهارْ !!
أن أضع أحلامي وكافة كوابيسي – الليلية
والنهارية – في درج مكتبيْ
وفي الليل أعود لأعبث بأسنانها التي كالأرانب وأفكّك بنطلوناتها المرقّعةِ

أعرفُ
أعرفُ
أن كل هذه الأحلام التي صنعتها من أكياس البلاستيك
ونفايات النايلون
كثيراً ما أرصها على أرضية الزمن الرطبة هذه
لكي أعرضها على المارة
بثمن بخس
أوْ لأعدّدَ عليها شكل سنواتي الضالةِ وعددَ خيباتي اللانهائية
أرجوكم
لا تنظروا إليّ بشفقةٍ
مثل فأرٍ ميت أو خبيزةٍ نادمةٍ
على الأقلّ
لقد حضرت حربين عالميتين
وحفرت الآلاف من الحفر البرميليةِ
وخرجت من كافة الحروب التي دخلتها
بطلاً
وبلا إله واحدٍ
أو حتى أنبياء قدامى
لقد أجهضت الملايين من الأحلام الصغيرةِ
من على مائدتي المتسخة هذه
وعبر هذا الليل الرنّان
انتظرت مشهد الفجرْ
وهو يطلع على عصا الليلِ البردانةِ
لمرةٍ واحدةٍ على الأقل ... !!
شاهدت المسيح وهو يمشي في الأسواق
بينما يكرزِ بمعمودية الدمْ
بجسده الذي يبك بالألم
وكلماته
التي تشبه الحصىْ

لم يكن هناك من أحد ليبكي عليّ
أنا الذي أسرفت في البكاء لحدّ الضحك
وأسرفت في الضحك لحدّ البكاءْ!!
استنهض الغبار وأقول له:
سلامـًا
سلامـًا أيها الغبارْ الرّاسخ مثل فمْ
لم تكن في يوم من الأيام بلا قدمين ضالتين
أو حتى عجيزة ضامرة
لم تكن بلا أحلام أو حتى إقاماتٍ على الأرضِ
ولم تكُن كذلك بلا أسنانٍ
أو حتى أنيابْ !!
كنت تأكل الحشود مثل حشرةٍ
وتنام على مخداتي مثل يرقةٍ
أيها الألم يا أنقاضي المستترة
و يا أجزائي المنبتة من العالم
وأنتِ يا روحي
لم تكوني أبداً
بنت الطبيعة الحية
أو الميتةِ على السواءَ
كنتِ طبيعةً وكفى
أعرف أن الحياة صعبةً وبلا ميكانزمات
وفى داخل كل هذه الصحراوات التي تضج بالحركة
والتي نسميها أرواحـًا
سوف نركب الموت على سقالاتنا التي
بحجم الكرة الأرضية
ونقول له:
أنت حصاد وأعمى
سوف نترك لك بيوضنا التي نسيها الزمن
على رصيف الأبدية الفارغ

فالتقطها
واصنع لنفسك منها أرغفةً على حجم مقاساتك
أيها الهالكُ المهلك
سوف نتركك تعوي على الطرقاتٍ
– مثل كلبٍ
إلى أن تقبض بنفسك على رقبةِ
الحياة
أو تشدها من غلاصمها وتقول لها:
أيتها الحياةُ ..
أيها الزمنُ ..
أيتها المقبرةُ الإلهيةُ
ذات الأبهة!!

أحلام كرتونية

سوف نسند قامة هذه السماء العليمة
ببطءٍ
وبيدين فارغتينِ
تماماً
سوف نجلس إلى رصيف خالٍ من المارّة تماماً
ومن الآلاء
وسوف نصنع الكثير من الأحلام
ونضعها إلى جوارنا في قفصٍ مهملٍ من الكرتون
مثل طيورٍ إلهية
ملونة
ربما لكي نحافظ عليها من اليأس
وحتى لا تقتحمها أعين المارّةِ
أو تداهمها ريح عقور!!
فإذا

ما جاعتْ تلك الأحلام
أو حتى أصابها العطبُ من الخوف
وأصبحت على شفا حفرةٍ من الجنونِ
أو الموتِ
سوف نطعمها المزيد من الأحلام البائدةِ
والمقيدةِ بالسلاسلِ
وهناك ...
وفي آخر الليل
سوف نسندها إلى جوار الحوائطِ
المكللةِ بالعتبِ
والرّشدْ
لا
لكي نشاهد نجمة الفجر التي لا تطلع أبداً
وإنما لنسترق السمعَ كذلك
إلى كل ما يعتور كل هذا الليلَ
من هزائمْ.

استراحة المحارب

لبرهةٍ
سوف نقنع أنفسنا برغباتنا القويةِ
في البكاء – على الأطلالِ –
مثل حمامةٍ ضالةٍ
أو نجمةٍ مراوغة!!
وسوف نقول لشمسنا التي تميل إلى الزوالِ هذه
تحت سراويلنا المرصعة بالخيبةِ
والندمْ
أيتها السماوات
ليس ثمة أيادٍ أخرى يمكن لها أن تعمل

أو حتى تعترض طرقنا المتشابكةَ
والمتشابهة في نفس الوقت
سوى أنهارك التي أخذت تجفُّ
تحت أقدامنا المدرعة بالشقوق
والحراشفِ
وكأننا مجموعة من الغزاةِ والمرابطين
يجرجرون خلفهم أحذيتهم المدبوغة بالأشلاءِ
والتضرّعات
وأسلحتهم الصدئة التي دمرّتها الحروب
ولم نكن في يوم من الأيام مجموعةً من الملائكةِ
يسحبون خلفهم أرديتهم الطويلة البيضاءْ
وحكاياتهم التي تشبه الأساطيرَ والسلاحفْ
لينزلوا فوق أرضٍ أخرى أقل قسوة
من كل تلك الأرض التي جدّفنا فوقها وبعمق
وتركنا هنالك فوقها أحلامنا المتهالكة
وكلماتنا التي تشبه الروث الجافّ
حتى احترقت عليها كلماتنا التي زرعناها بأيدينا
على حوافّ قلوبنا المهترئة
والتي خدّدها اليأس
من فرط ما فكرّنا طويلاً
في النسيان !!

جحيم بورخيس

لم تشأ الأقدار أن تمد إليك يديها الرخاميتين في ساعة النحس هذه
ولا أن تمنحك ولو لحظة واحدة من الشجاعة لكي تعلن الخلاص
على صخرة الآلهة المجوفة
التي تتنشف بالزبد المحروق
وكبريتات النحاس

وإنما كانت هناك تلك الآلهة البيضاء
التي فتحت عليك بوابة
الجحيم
لتنظر من خلال بوابتها الواسعة
الضخمة
على كل أولئك العميان
الذين سبقوك إليها بأناة وصبر
فقط
كان هناك ميلتون الذي فقد الذاكرة في المنفى
من فرط ما تورمت قدماه
وهو يبيع الليف ورقائق الخردة
بحقيبته المجعدة
وشعره المنكوش الأكرت
ويتجول في ساحاتها الخربة الخاوية
التي اكتظت بالكفرة
والمشعوذين
فيما كان يحمل تحت إبطيه المعروقتين مخطوطًا كاملاً
من الفردوس المفقود
وتريزياس!!
ذلك القاحل الضرير
الذي يقف على بوابة أثينا السوداء
ممسكًا بعصاه الغليظة من البلوط
فيما كان يكْرِز بيديه الخشبيتين على
تمثال من الرخام الحي
للجميلة أفروديت
وها أنت ذا يا سيدي بورخيس تقف صامداً كأحد الثيران الجريحة
ومن خلال موسوعاتك المتربة
وكُتب الهرامسةِ
والعرَّافين

والأطالس العملاقة المشبوكة على بكرة الخيط
تقف في شرفة مكتبتك التي تحتضن المحيط
على زاويتين قائمتين
لتجدف على الرب إلهك الحي
إذ تنظر إلى كل أولئك القراصنة
المكممي الأفواه
والحليقي الرؤوس الذين يمسكون بأيديهم البلط
والفؤوس والخناجر اللامعة المدببة
وهم يطؤون بأقدامهم أرض وطنك المدرج بالدم
لكي يحتلوا الميناء الشرقي للمدينة الجميلة
بيونس أيرس
ولم تكن ليدك المسرفة في الغفلة هذه
أن تعرف الطريق إلى اللاتينية القديمة
لكي تتبين حقيقة الأمر
تمامًا
كما لم تعد تعرف الفرق بين الاستعارة المكنية
وشرطة المرافئ
ولم يكن لكولمبس ذلك المتعجرف العجوز وهو ينظر من خلال آلة استطلاعه
القديمة داخل قمرته المعتمة على ظهر السفينة العملاقة إيزابيل
أن يقرأ في عينيك المطفأتين وهو يبحر بين الحيتان المتوحشة
وأسماك القرش الزرقاء
الخريطة المترامية الأطراف لأمريكا الجنوبية
تلك المتوحشة اللبؤة
بأساطيرها المدهشة
ونسائها المتشحات بالجنس والشهوة
فقط كان البحار العجوز ينظر إلى عينيك المطفأتين كسهلين مقفرين
أو كاسطرلابٍ أخير
على مذبح الرب
الآن

وقد سبق السيف العزل
واختارتك السماء السوداء
من بين كل أولئك السفاحين والقتلة
لتكتب بيدك العميانة الأسطورة الأخيرة
للهندي الأحمر
ذلك المهزوم دائمًا أمام كتائب الرب
وفيما كنت تتحسسُ جسد امرأتك
بشفتيك المزرورتين
كشجرتي جوز ساقطتين
وفمك الذي يشبه البوغازْ
وتجلس خلف أساطير اليونان السوداء
والآلهة المبجلة لجيل إيثاكا
كانت طيور الرخ العملاقة ترفرف عاليًا
في سقف غرفتك التي تشبه السجن
والموشاة بآلاف المجلدات
والصور
وشرائح الديانات القديمة من
الصابئة
والمجوس والمندائيين والكلدانيين والآشوريين
وكل أنبياء العهد القديم
لكي تعيد رسم خريطة الزمن
على اسطر لابك المذهب
الذي اخترعه أحد جنود قورش العظيم
فيما كان يحاصر مدينة الرب المقدسة
أورشليم
ولم تشأ بكل ما تحمل من مرارة وكبرياء
أن تفتح فمك لتصطاد فراشاتك الطائشة الخضراء
أو لتلقط أنفاسك المجففة حتى تتمكن من كتابة قصيدتك الأخيرة
التي ترثي

فيها كل أولئك الهنود الحمر
الذين فقدوا أرواحهم
وهياكلهم المقدسة
ومُحرقاتهم هناك على مذبح الرب
فيما كان الرجل الأبيض
ذلك المخلّص الجديد
يقتلع وبضراوةٍ بالغة كل تلك الأساطير والتماثيل
التي صنعها آباؤك وأجدادك
من أجل أن يقيم ناطحات سحاب عملاقة
وصواريخ عابرة للقارات
وقنابل هيدروجينية
تستطيع أن تعيد توزيع جغرافية العالم
وتقلب التاريخ رأسًا على عقب
وذلك بدلاً من مملكة ابن الإنسان
ولكن هذه المرة
من بابل التي فقدت صلاحها أمام الرب
لكي تقف مصلوبةً
على بوابة أورشليم !!
سقطتْ
سقطت بابل العظيمة
ويل!
ويل!
المدينة العظيمة
المدينة القوية
لأنها تقول في قلبها أنا جالسة ملكة
ولست أرملة
موت وحزن ودموع
تحترق بالنار
لأن الرب الإله الذي يدين قوي

سقطت بابل العظيمة
هللوايا
هللوايا !!

كزار حنتوش

سوف أدهن السماء بدمعةٍ كبيرة
وبإحدى أغنياتك التي تركتها على حجارة البصرة
وأدعو كافة العصافير التي طارت من ساحة الشهداء أن تحط على قبرك
الذي يشبه حنجرة باكيةً لسركون بولص
أنت أيها السيد كزار حنتوش
يا من قابلتني في ليلةٍ عاصفة قرب ميناء البصرة ووقفت على دكتك الخشبية تنظر إلى
شط العرب باعتباره معجزةً من معجزات الرب
لم تكن تمسك في إحدى يديك غير شمسك التي تبحث عن الدفء
هذه الشمس التي أخذت تتكوم تحت قدميك
مثل نبتة جافيةٍ
فيما ترفع قميصك المنسوج من الدم والأساطير
وتطوّح به عبر سماوات كردستان
هل أخذتك العزة بالإثم وأنت تعرض جروحك على طاولة المفاوضات أمام الحاكم
العسكري للمدينة
بينما يقف على مقربة منك عقيل علي وهو
يحاول أن يربط بين دجلة والفرات بمنديل صغير لقروية صغيرةٍ كانت تحلب النوق
فوق جبال كردستان ومشارف زاخو
هل كنت تحلم بوطن يشبه المستعمرات دائمًا ؟!
كيف أصبحت رئتاك اللتان تورمتا بفعل محبة الوطن مثل نهرين صغيرين من الدم
فيما العلوج الأمريكان يحتسون البيرة المثلجة والفودكا
على الطريق ما بين الرصافة والكرخ
ولم يكن ثمة طريق آخر يسلكه المندائيون
والصابئة

والكلدانيون
وكهان أور
والعبرانيون الأوائل
إلا ذلك الطريق الذي يمرّ بين شراييناك ودمك
ألم تقل ليْ
ونحن على مشارف العمارة
إن آزرَ قد بنى خيمةً هائلةً للرب
فيما يسجد للبعل على بوّابات بابلْ
كيف تركت قصيدتك هكذا عارية في العراء الضحلِ
ودون أن تقيم لها نصباً تذكارياً
أو حتى تنسج لها وبيديك اللتين احترفتا كتابة القصائد
درعاً واقية من القنابل العنقودية
ودبابات ميركافا
التي تجوب شوارع بغداد فيما يعرف الآن بالمنطقة الخضراء لكي تحاصر قصائدك
هل أنهيت قصيدتك التي أخفيتها في جيب بنطالك الخلفي وبعيداً عن أعين الديكتاتور
وحين سئمت من المطاردة جلست في حانةٍ من حانات السليمانية
ورحت تبكي على امرأة تشبه شمس أربيلْ
لماذا قررت أن تموت الآن يا كزار حنتوش
وقبل أن ترى الوردة التي
زرعتها في دمك؟!

قصائد

إلى
شاكر عبد الحميد

(1)

تبتكر لنفسك شكل نافورة جديدة
وتحاول أن تصطاد ولو نجمة واحدة

بينما الأفق كله
معلق بغيوم نظارتك !!
(2)
ستضحك كثيراً
نعم سوف تضحك كثيراً
من هذه الغيوم التي تحاول أن تحرق أصابعك
ولكنك
وفي نهاية الأمر ستأخذ البحر ناحية الصحراء
لتلقنه أول درس
في النبل الإنساني.
(3)
الوحدة
هذه الوحدة اللعينة
الطيبة
المرحة
الشرسة
التي تخبئها في جيب بنطالك الأيسر
دائمـًا
سوف تتبرع بها لأول عابر سبيل
يحاول أن يقتنص من بين أصابعك
كلمة
كلمة واحدة فقط
تعرف كيف تغيَّر من وضع السماء قليلاً
وتقترح شكلاً آخر
يليق بالأرض.
(4)
الزمن بغباره
وأشجاره الجافة
وطيوره المملحة

كثيراً ما يحط على شرفة نافذتك
العالية هذه
ليتطلع طويلاً
إلى تلك الشمس الرائعة
التي تربيها بجوار أحلامك
وكوابيسك.
(5)
سوف تطلع من النوم كأحد النوارس القديمة
وممسكـًا في يديك بلطة
بلطة قويةً بحجم السماء التي نحبها بعمق
لكي تنقّي الحديقة
من كافة الأعشاب الضريرة
والأسماك الميتة وربما تجلس ذات يوم
كأحد البوذيين القدامى
على شاطئ النيل لتتناول وجبةً دسمةً
أنت والسماء
على طاولة واحدة!!
(6)
لماذا
لم تقل لكل هذا الألم الذي يجري في الشوارع
وينام على الأفاريز
ويضحك في داخلك دائمـًا
أن يتوقف قليلاً
ريثما تغتسل من شمسك الباردة هذه
وأن تتخفف ولو قليلاً من كل تلك الأحزان
التي تتناثر على الطرقات مثل حبات المشمش
وربما تجفف بطرف ضحكتك الخضراء
دموع عينيك اللتين تتشبثان بتراب مصر
ودموع فقرائها

ومواويل عشاقها
وعديد نسائها المتشحات بالسوادِ دائمـًا
مثل مومياوات شادي عبد السلام
ودموع محمود المليجي
في الأرض
تلك التي تحولت الى غابةٍ
من نخيل
وكبرياء.
(7)
لا تبتئس
أيها الولد المحب
فسوف نعرف كيف نكنس الزمن بمعاولنا الصدئة هذه
وسوف نتوقف قليلاً في يوم من الأيام على شرفة النسيان الخالص
وعلى بعد مترين فقط من هذه الغيوم التي تتآكل بداخلنا ونعرفها لنتذكر سويـًا
كل أولئك الأصدقاء الذين رحلوا في سنوات الموت والعمى وخلفوا وراءهم صور
خيباتهم
وأمنياتهم
التي تتآكل بفعل الإهمال والندمْ
تلك الخيبات التي نسجوها من حرير النسيان
والزمن
وعلقوها على الحوائط المتآكلة لنحاس الذاكرة الخربةِ
في شوارعَ معتمةٍ
أو شبه خاليةٍ.
(8)
الألم
هذا الذي نتفحّصهُ بأيدينا
وندحرجه – ليل نهار – تحت أسرتنا كالكمثرى
وينام هادئـًا
تحت مخداتنا

سوف نمضغه بأسناننا الوقحة هذه مثل علقةٍ
ونتركه ليعوي على الطرقات مثل كلبٍ
وفوق هذه الأرض
سوف نواصل الغناء دائمـًا
بلا أحلام مؤكدة
أو حتى ضغينة مسننة
إلى أن تطلع نجمة الفجر التي لا تطلع أبداً
وسوف نبتكر للأرض
اسمـًا آخر يليق بالأمل
واليأس.

(9)

أعرف
أنك سوف تذهب إلى أمك في آخر الليل
لتطلب منها رغيفـًا من الخبز اليابس المطحون من الذرة العويجة
والشعير المنقوع بضحكات الأطفال
وربما تطلب منها كذلك شيئـًا من الصبر
لتستعين به على طول الرحلة
وقلة الزاد
وها أنت ذا تفتح عينيك على وطنك الذي يشبه خريطة من اليأس وطنك الذي نهبه
اللصوص والخونة
وحاصرته الدببة المرنة
والثعالي الصخابة
وما عاد بإمكانك أن تجد فيه
مكانـًا واحداً
حتى لمقبرتك!!

(10)

أيها الولد المحب لا تبتئس
ففي ساعات الوحدة الهرمة واليأس الرنان
أرجوك لا تطلب أي شيء آخر سوى تلك الوردة الصغيرة التي ماتت هناك على

جدران غرفتك
وفوق المرايا التي تطاردك أينما تذهب
لكي تضعها في فمك
وذلك بدلاً من الكلمات التي أصابها
العمى!!

بئر أيوب

في وحدته جلس أيوب مطأطئًا الرأس
بذهنه طافت أفكار
ومدن
لم يشأ أن يغسل الضوء بأصابعه
أو يجفف السماء بدموعه التي كانت تجرى تحت مخداته كالسيل
تذكر محراثه
وأدوات حصاده
أيام مجده
وعزه
التي كانت تتنطط تحت رجليه كالقطط
ومثل بَركةٍ وحيدة تطلع إلى الشمس
التي كانت تملأ السماءَ
وتتساقط في حجره كالفراشات
ما زال القمر يملأ السماء بخياشيمه والنجوم
تغسلُ الليل بيدٍ واثقةٍ
تذكر
سنواته التي أنفقتها في تلك الصحراوات
الشاسعة
تذكر امرأته اللعوبَ التي تركها أمام التنور
وهي تعدّ وجبة العشاء
بينما تسيلُ على جسده كالحليب

في الليل
تذكر
صحراوات أرض كنعان الحارقة لليل
والطير
وعدَ الرب لآبائه وأجداده بأرض اللبن والعسل
خيالات سدوم وعمورة
بنات أدوم الأسطوريات
وهنّ يستحممن في النبع
تحت ضوء النجوم الوهّاجة
ويتنشفن بالقمر الصيفي
آهِ
يا لتلك اللذة
ويالتلك الكلمات الرازحة في الصدر كالندوب
ويالأولئك الشقراوات اللاتي يفقن المقصورات في الخيام
ويقفن كالبيض المكنون والدرّ
وهن يملأن جرارهنّ الفخارية بضحكاتهن الشفافةِ التي تسيلُ على الطرق – كالمن والسلوى –
أين ذهبن أو تطلعن؟
ويالرقصاتهن التي تشبه حفيف الملائكةِ والجنّ
وغنائهن الذي يتفوق على المزامير بالدف !!
لم يكن يعرف أن للزمن سكاكين قوية وأنيابْ
ولم يفكر لمرةٍ واحدةٍ في عظام مفاصله التي تتآكل بفعل الشيخوخةِ والنسيان
فقط ، تذكر
سنواته المجرَّحة على الطين والرمل والتي تتناثر على جسده مثل حصوات بحراشف وقناديلْ
تحسس دماملة التي تبقع اللسان والفم
لمَ
لمَ أنا يا رب قلْ لي : أأنا سنبلتك الوحيدة في حقل الحسك والدمْ هذا، أأنا النجمة الغريقة في غيمة العالم هذه والتي تمدّ إليها حبالك القوية لتنتشلها من الغرق في اليم

لمَ تضع يدك الراسخة تحت رأسي دائمًا كتذكار
حي على وجودك الذي يزلزل كياني
ويهدد جدران روحي مثل عاصفةٍ برعوداتٍ
وبروق
لمَ
أخذتني أنا من بين كل غنمك لكي تغرس سكاكينك
القوية حول روحي وفوق رقبتي ودون أن تحزّ
لمَ
اصطدتني أنا في شبكتك الوحيدة
من بين كل سمك البحرْ
لمَ
حولتني أنا في الليل إلى فريسةٍ
وفي النهار وضعتني على ناصية الطرق
كي أكون عبرة
ليس في جعبتي أي شيء!!
في يوم من الأيام لم تكن لي حربة أو قوس
لم أسرق من حديقتك نجمة واحدةَ
لتفعل بي ما فعلت
في وقت حصادي قدمت قرابيني
وعلى مذبحك العالي
أقمت مُحرَقاتيْ
كنت نعمةً في عينيك
مثلما كنت نعمةً في عينيّ
ومثلما مشيت في طرقك بالاستقامة والعدل تفحصت حصاة روحي
حتى تفحّمتْ
فلماذا تضعُ يدك القوية على جسمي
إلى أن تقرّحتُ
وسلطت عليّ ملائكتك
من ذوي الأجنحة

ليضربوا أرض روحي بالسكاكين
والبلطِ
حتى نشفتْ!!
أحصاة أنا
كي تدحرجني كل هذه الرياحْ
أزهرة أنا كي يخزني كل هذا الشوك
وتضع كل هذه الشكوك فوق مائدتي وطاولاتيْ
لمَ
تخيرتني أنا من بين كل هذا العالم
لتختبرني؟!
شفتي
لم تنطقا بحرف واحد خطأ
ولم تجدفا بكلمة
عن الشر والإثم حادت نفسي
وما انحرفت قدميّ قطُّ
أرض جاري لم أطأ
ومن بئر أخي لم أشرب ولو قطرة واحدةً
فلماذا عيناك دائما تخترقاني
وكأنما أنا ثمرتك الوحيدة في هذا العالم
التي تشتهي أن تفرسها بين أنيابك وتلقي بها كالخرقةِ تحت أظلافِ وحوش البرّ
وفي الليلْ
تضع قوسك وسيفك فوق كتفيّ
وبالنهار ترجني مثل قشةٍ
أصخرة أنا
حتى تلاحقني بكل تلك الضربات والعواصف !
أبحرُ أنا
حتى أحتمل مدّك وجزرك
وغضب أمواجك وطواحينك
وأسماك قرشك الجرّاحة

وقاع بحرك المفتوح كالهاوية
والقبرْ
ارفع يدك عني أيها الآب الإله
فأنا في غاية الظمأ
شفتي مترعتان بالغضبِ
والألم
بينما تصر أسناني على ثمرتك الحجرية هذه
لا !!
لا تتعجل أيها الألم العجوزْ
فهذه المناجل المشرعة للضوء
والشراشف التي تناضل ضد الموت
سوف تتعرف عليك
ودون تفاصيلْ
حتى تحمل كل هذا الجسد جزيرة الديدان هذه
وتضع فوق تلك النبتة الصغيرة التي تسمى الروح
كل ثقل الجبال
أنا
وردة بألف جرح
أيتها الصخرة
التي تسند العالم !!
اسمع يا أيوب
ماذا تعرف عن كلمة الرب المؤسسة للعالم كما هي السارية في الطيرِ
والبحرْ
ماذا تعرف عن الريح من أين تنبع
وأين تصب
أو أين تذهب في آخر الليلْ
من أنت قلْ لي
قشةُ صغيرةً على وجه الغمُرْ
حصاة ناتئة فوق سفح جبلْ

حرف غارق بين أبجديةٍ
لغة منقرضة
وتاريخ حياة يوشك أن يضمحلَ أو يزولَ
سوسنة أنت
أم عود ليف
حسَكةٌ أنت أم عمود نار
الزمن يأتي ويعود
الشمس تذهب لتنام وفي الصباح تخرجْ
ماذا يعرف الإنسان أكثر مما أعرف
لقد جبلتك من الطين
وبيدي هاتين سويت معدتك
وأمعاءك
وجعلت لك أنهاراً تجري في داخلك لا تعرف
عدد شوارعها
وبحاراً لا تدرك عمق مراسيها
في داخلك يسكن العالم كله
أما أنت فلست أكثر من حشرةٍ
صنعت لها عينين لتبصر
وقلبًا لتحبْ
منحتك النظرة والنظر
في أرضي أسكنتك أنت وذريتك من بعدك
وجعلت لك الأحلام بالليل
حتى تغتسل من تعب النهار
وبيدي
مسحت على زجاج عينيك
لكي تبصرَ خيط النور والظلّ
أريتك الفجر
وهو يشرق على الجبل
والسهل

وأهديت إليك سمك البحر
كي تأكل وتفرحْ
أسمعتك كلماتي على الأرض
حتى تكونَ نعمة لك في عينيك
وأنت تقدم مُحرقاتك وقرابينك
ولم أكن في حاجةٍ لا إلى مُحرقاتك
ولا إلى قرابينك
ألنتُ لك الحديد والصخر
وجعلتك مثل وردة برية
في جوف الصحراوات المخوفة هذه
سوَّيتك
مثل طير البر
وجعلتك على صورتيْ كي تكون كاملاً أمام عينيّ
قل لي:
أأنت أسستَ المسكونةَ حتى تقف أمامي لتسألني
أأنت شققتَ البحر بمحارثيك
وجعلتَ موجه ظلمات بعضها فوق بعض
أأنت أسست مدارات السحب في الشتاء والصيف
وحدّدتَ مسارات النجوم
وجعلت الكواكب تضوى في الليل
ماذا تعرف عن الكربون المشع
وحركة الجاذبية
ودوران الأفلاك
ومملكة سدوم
وعمورة
وأين كنت قبل الكون وبعد الكونِ
قبلك عصور مضتْ
وأخرى سوف تأتي
ماذا تعرف عن سمك البحر

كيف يأكل في الليل
وما هي أحلامه
هل تعرف ما هي الأفكار التي راودتني وأنا أصنع لك حبة الرمل هذه
تلك التي عليها تمشي
وتنام
تحلم
وتقيم أوتاد خيمتك
وفي الليل تشعل نيران مُحرقاتك
كي يخافك ذئب البرّ
ووحش الغابْ
انظر!!
هل تعرف شيئًا عن حكمة الحياة والموت
وأين ستدفق عظامك بين هاتيك الصحراوات
وماذا عن روحك التي بين جنبيك
أين أخبئها
وكيف أحتفظ بها في صناديقي وماذا أعمل بها في أوقات فراغيْ
ماذا رأيت أبعد من أنفك يا أيوبْ
انظر إلى وحوش البر
كيف تتغذى
ومن أين تأكل
ومن جعل لها مخالب
وضرّاساتْ
لماذا تركت الشيطان يتسلل إلى عظم روحك
ويغرس في قلبك ثمرة الشك هذه
اسقط مع الأيام
اسقط أيها الشعر!!
سنوك
التي أرهقت نفسك بها لتزرع وتحصد
أين ذهبت وكيف صارت كالبر

ماذا عن تعب يدك
وآلتك المعطوبة التي بين فخديك
ألك كل هذه الأرضْ
لتبني عليها مملكتك
ولتغرس بها بذرتك المعطوبة هذه
ألك كل هذا العالم
لتحرثه بمحاريثك الصدئةِ
من صنع يديك
قلت لي
من عمل يدي غرست وأكلتُ
حسنـًا
ومن عمل يدي كذلك أصنع ما يحلو لي
تارةً
أكون عشبةً
وتارة أكون رملةً
تارة أكون قمراً
وتارة
أكون حصَّاداً للعالم
تارة أكون أغنية بين شفتي وردةٍ
وتارة أكون قوسـًا وسيفـًا
تارة أكون برقـًا ورعداً
وتارة بنفسجاتٍ وحصى
أيوبْ !!
قطعانك تعرف مراحها في النهارْ
وفي الليل تلمها إلى حظيرتك
تمامـًا
ومثلما أعرف عدد قطعاني
وأودية أنهاري
من أين تنبع وإلى أين تصب

أيوب
أخرج من فوق هذه الأرض إن استطعت
قل لملك الموت أن لا يأتي إليك
وأنصب أنت شبكتك للموت
اصنع لك سماءً على مقاسك
كي تعرف عدد نجومها
ومجرّاتها
استملْ إليك الصخر
والمطر
إن قدرتْ
لا تمل بقلبك عني يا أيوب
حدقْ إن استطعت في الشمس
حدقْ جيداً
سوف تبصر بنفسك العدم ماثلاً من فرط ما رأيت
أنا
هو أنا
لست صخرة كي أنطحك يا أيوب
وأتركك تتفتت في السيل
لا
ولا بعمل يديك أنظر إليك
أأنت أسست العالم
حتى تقعد لي على الطرق لتسألني
وعلى رأس كل شارع لتجدف عليّ؟؟
أنا خالق الخير والشر
وجعلتهما مثل كبشينِ
متناطحين
لا بدّ من وجود الخير
كي يملأ الشر دلاءهُ
وأوعيته

الخير المحض غير موجود
والشر المحض غير موجودْ
سلامـًا
سلامـًا
سلاه
لك يا أيوب
كل الأنهار تجري إلى البحرْ
والبحر نفسه ليس بملآن.

مقهى الغبار

إلى
سيد العراقي

في هذا المقهى
الكرسي له رأس طاولة
والدخان قط أعمى
هذا الغبار يقبض عليّ من هدومي
ويزعق فيّ بأعلى صوته
إنه رفيقي الذي يقاسمني الوحدة
والألم
لم يكن لي أن أجلس طيلة النهار هكذا
أحدق في الشوارع الخالية من المارة
وأن أقبض على العالم من مؤخرته
في الأركانْ
يأتي الموتى في آخر الليل
ليتحسسوا ريح العالم
ورغم حدة أصواتهم المزعجة إلا أنهم يضحكون
وبضراوةٍ
يطلقون صرخاتهم التي تشبه الفقاعات

فوق موائد الدخان
والفحمْ هذه
صار الرقم طاولةً مقلوبةً
والأتوبيسات نعوشـًا طائرةً
الزمن
نفسه وحده!
سوف نعلقه هو الآخرُ فوق مسمار بجوار عامل المقهى
إلا أنه يجلس على أريكة الليل الفضفاضة ليأكل ويشرب ويتمخض
وليتأمل روحه الهرمة
وأسنانه التي تتساقط على المقاعدِ
هذا الفنجان
شقة مفروشة بغرفةٍ واحدةٍ
ودورة مياه
الشجر يحاول الكلام معي دون جدوى
فينخرطُ في النحيب فجأة
في هذا المقهى
الغبار يستعد للجنونْ
الخطأ صوابٌ فادح
والصواب خطأ غير مقصود
الآن
لم يعد لي سوى هذا الفنجان
الملآن باليأس والهزائم
يا له من صديق !!

سريالية

(1)
سقطت ورقة
من أعلى الشجرة

الشجرة صارت بيتـًا
والبيت له نوافذ
وأحلام
حلم بحجم الأمس
وحلم بحجم اليوم
حلم بحجم راحة الكف
وحلم بحجم الموت
غير أن كل هذه الأحلام سريعـًا ما تغادر البيت
لتستقر في أرض الشارع
كي توقف المارة
وتكشف لهم عن سيقانها
المنزوعة الأوراق والرغبة.

(2)
سماء بدبابيسْ
ومشابك
هناك نجوم لا تودّ أن ترى
أشرعة مدببة للحزن
أن تستسلم لبخار الروح التي تبقبق في الخلاء
أن تدفع الجنون أمامك
مثل عربةٍ مكسورة
وتقوده إلى الشوارع مثل ضليلٍ
وأعمى
بلا غطاء واحدٍ للرأس
أو حتى ما يستر العورة !!
ثمة حياة لها طعم السلاحف
وحياة أخرى
لها شكل الجعارين
أنا حياتي

تغسل قدميها المشققتين فوق سلالم
الجنون
وتنام تحت عربة روبابيكيا
وأمام خزان مياه
فارغ
تتوقف لتغني!!

السماء بحبالها الواثقة

السماء
بحبالها الواثقة
تقترب وببطء من قارورة الأرض المهشمة
لا شوارع لكل هذا الزجاج
ولا آنية لكل تلك اللذة
شمس المعدن
تتربع وبضراوة على طاولات النحاس
والفحم
ثمة جزيرة من الأفيال المملحة
ترقد هناك
على حجارة السماء
الراسخة
صلوات غامضة تصعد من جبل الروح
صوب تلك الأرض التي تقف على إبرة الخطأ
بخطا طيفك الملونة
أيها النهارْ
توقف بجوار كل تلك الحوائط
حتى لا تفلت حجارة
اللذة
من عين الماء.

أميرة زغلول

جسدك بعيد عن جسدي
روحك بعيدة عن روحي
في الليل
أفتقد حرارة أنفاسك
ويقين جسمك
ضحكتك
كأس فارغة ترن
بين شفتي
صدرك أغنية في قفص
جسدك
بعيد عن جسدي
وكلماتي في العاصفة
أه
جسدك بعيد عن جسدي
يا له من جحيم !!
ماذا أفعل في كل هذا الليل
بدون عينيك
الكوكبيتين ؟!

باسلة أنتِ في الليل

بأسنانك اللامعة البيضاءْ
سوف تقضمين شجرة الدموع
على أنفك
الذي يشبه برج لبنان الناظر تجاه دمشق
سوف تتوقف فراشات بصهيل
لتتأمل
ربيع أنفاسك

بيديك المعجونتين من الكستناء والعاجْ
تكتبين على جسدي
آخر كلماتك
باسلة أنت في الليل
أيتها الضارية في النهار !!

الجهات الأربع

الريح تهب من الشرق
ماذا تريد الريح أن تقول
الريح تهب من الغرب
ماذا تريد الريح أن تقول
الريح تهب من الجنوب
ماذا تريد الريح أن تقول
الريح تهب من الشمال
ماذا تريد الريح أن تقول
الريح تتوقف
لمَ لا تقول الريح ؟!

الأسئلة

ماذا تقول الشمس عن هذا الضوء الذي يتسلل من عينيك؟
ماذا يقول الربيع عن كل تلك الأغنيات التي تخرج من فمك؟
ماذا يقول النهار عن يديك اللتين تعملان بقوة العاصفة؟
ماذا يقول الخريف
عن أيامك التي تخلفينها وراءك على الطرقات
فيلمها قمر الغياب دائمـًا
سنواتك المترعة باليأس
تتذوق بمفردها
عسل ضوئك.

عمل شاق

الخبز الأسود
والضحكة العجوزْ
النار التي تتأجج في الأصابع
والفراشات التي تبحث عن عمل
كلها مؤشرات
لروحك التي تعزف على جبلٍ
من نارٍ
ودخانْ
جاف هو النهار
بدون رغباتك
ميتة
هي الساعات
بدون عمل يديك.

عزف

لا
لم يكن الضوء وحده
هو الذي يشاركني الغرفَ
والسريرَ
الأغطيةَ
والشراشفَ
فقط كان ربيعك القديم
هو الذي يجري على الطرقات
ويشاركني الظل الغارق
حياة جامدة
رماد مدفون في الرماد
سنوات من فحم

وكحلٍ
كان هواء جسدك
الذي يتسلل في غرفة الظلّ
العارفِ هذه
حياة جامدة
وسنوات من فحمْ
كيف أقف وحيداً على قدمين عاريتين
من رصاصٍ
ورغبة؟!

فن الشعر

في سنواته المحملة بالكوابيس والفحمْ
حاول أن يتكلم
كان فمه الذي يشبه خريطة من الإردواز
يقف عائقـًا أمام نظرته
التي تحاول أن تخترع شجرة
أي قمر ضال كان هناك
ليشهد ضحكة الفجر الواثق بنفسه؟!
أي تمتمة لزمردات كانت تملأ هواء الغُرَفْ؟!
أخذته اللغة إلى حظيرتها الملونة
بالأساطير
والطبوغرافيات
وتركته هناك ليجف
وبانفعال وردةٍ صامتةٍ
وخفةِ كائن أعمى
أخذ يتساءل
هل كان الموت الرّنان
يتربص بالغابة التي تخصّ الرمل؟!!

أميرة زغلول ثانية

أشجار الجوز
وأوراق الحور والصفصاف
تحمل دائمـًا رائحة أنفك الأخضر
بأصابعك
المحملة باليقين
والشك
أبدأ الرغبة في انتهاك الأسوار الشاهقة للزمن حول جسمك
وأدخل في غايةٍ
ملمعةٍ
من الأساطير
والحكايات
إلى أن أنتهي من عينيك أنت
أيتها السفينة التي ما توقفت قط
تحت أية سماوات
أيتها التينة التي تشبه الرحم والفم
سوف أظل أحفرُ وأحفرُ
حول تلك الجذور التي تبحث دائمـًا
عن نبعٍ
وشمسْ.

ألفت خليفة

عندما تقف سمكةُ الصباح هذه
على بعد خطوتين اثنتين من شفتيك
أنظر إلى ذراعيك الكهرمانيتين والمسبكوتينِ بحليب الآلهة السكران
فيما شمسك التي تتوسد حدائقك
في عزلة
شبه كاملةٍ

تعرف كيف تقرأ أناشيد الليل
بيد باسلة !!
أي عين منجرحة تلك التي يعزف عليها الزمنْ
بأصابعهِ
وأغنياتهِ
حركة جسمك الواسعة
لك
وحدك
قدرة الزمن على الضحك
فيالجسمك الذي ينسج من حرير الضوء
وحقيقة الماس
كلماتك
التي تعرف كيف تسند يأس العالم!!

مؤاخاة

افتحي كل هذه النوافذ للضوء
اجمعي شمل الليل للسفن
اسمع شمس العالم الصغرى
وهي تتدفق بحيويةٍ
وطراوةٍ
على كافة الأدويةِ
ومثل قلبك الذي يشبه فراشةً حرون
انظري
إلى شهوة الطبيعية المندلقة تحت قدميك الحافيتين
مثل نجمتين متناغمتين
ما الذي يؤخى بين جسمك
وموسيقا شفتك السفلى؟!
أهِ من شمسك التي تشهق بأنهار .

أغنية يأس وأمل

أشعر باليأس من الأملْ
بعشبة طرية سوف أبني بيتـًا
بكلمةٍ
أجيرةٍ
سوف أخترع نشيداً
بقبلةٍ راسخة
سوف أسوّي جسداً
توقفوا قليلاً بإزاء كل هذا النهارْ
اتركوا كل هذا الهواء الجريح
يتسلل خارجـًا
لا تلمسوا قيثارة القمرْ
حتى لا تبكي سمكة الريح
الزهرة والمنجل
في عناق أجيرْ
السمكة والشط
في موسم حصادْ
الروح والجسد
مقدمة سفينة
سوف نطبع العالم بقبلاتنا التي تسيّجه.

حركتان

(1)

نجمة..
نجمة مثل هذه سوف تتوقف على جبلٍ آخر
لا لتحضنَ كل هذا الليل
وإنما لتتأمل وببطء
رائحة الفجر.

(2)

انطفئ

وأضيء

على جدران الجسد

ذلك الجسد الذي يشبه مجاهل الأنهارْ والليل

بقبلةٍ داكنةٍ

وفم عجوزْ

سوف تهتف الريح

والأرض دائمـًا تصغي!!

أنقاض

هنا

وفوق تلك الأرض التي تُنبت الحجْر

في الظل الحارق للندى

حيث تفاجأ الريح بصندلها المعوجّ

يمكن للزمن كذلك

أن يكون أرجوحةً

تتربع عليه مثلثات ظل

وحرائق

يمكن لكل تلك السماء

أمنا العجوز

أن تكون عجانـًا

أمام تنوّر الموت

الأعمى !!

حجر السماء

السماء حجرْ

شجرة واطئة تنصبين عليها خيمتك

ومياه بلا أيقونات
أو بَرَكة
لا ظلّ لظلك الذي يرشُد
أو يطغى
فقط حياة جامدة
يمكن أن نطلق عليها خنجراً أو عكّازاً
ومثل بنات نعشٍ الصغرى
ثمة نجوم مكسَّرة تنام على الأردافِ الرخوة
لحجارة السماء
الراسخةِ
بيد الزمن اللاهئة
تبنين عرشك على الماء
أيتها الرصاصية
مثل مدينةٍ
بلا أساطير
أو حكاياتْ.

كبريت العالم

ترفعين طاولة من نحاسٍ إلى نافذة أعلى
من الليل
أبكمُ
وأصمُ
كل هذا الهواء الذي يتسلّل بخفةٍ
ترفضين السؤال الفحمْ
وترفضين السؤال الأجيرْ
فيما تمنحين فمك حكمة اللذة الضارعةِ
وجسدك الرغبة بكاملها
إذ

لا يمكن لكل هذا الجسد الذي يموّج الضوء
ويعيد اكتشافه
إلا أن يكون كبريت العالم !!

شمس تترجّح

دائمـًا
نسير وفي ظلّ خطواتنا قارة غارقة
في الكلمات التي لا تهدأ إلا على صلابة الوردةِ
وأسطوانة الردفينِ
وآنية السرة
يتوقف العالم
ليحكي وينصهرْ
الليل!!
هذا الليل الأجمل من كنسيةٍ
والأبعد حتى من الأرض ذاتها
يعترف بالخطأ
على القبة المجدبة للزمن
أرض رمل
ونبوءات
وعلى التفاحة الزجاجية لشفتيك السهوبيتينِ
ثمت شمس تترجّحْ!!

مدى

ما هذه الريح التي تمرّ من أمام منزلك
ما هذا الربيع الذي يتحصَّنُ تحت نهديكِ
ما هذا الجسد الذي يتذكر دائمـًا رائحة البحر
في ثيابك
وفي الليل

يفرّ إلى هضبة السماء العليمة
كلماتك
تشبه البرق والرعد
اللذين يختلجان فوق سرّتك
ويختبئان هناك في كامل اللذة
تحت ردفيك
الكوكبيتينْ
صوتك يشي بخلو الكمانات
من الرغبة بضحكة صغيرة بيضاء
تبدئين يومك
فيما ينتهي جسدك من عمل حصادهِ وأغنيته الأخيرة
على صخرة المدى.

باب توما

ربما
تتقابل الأزهار
مسرعةً
ذات مساءْ
على رصيف خالٍ من المارةِ تمامًا
ولكن النهار الواثق بنفسه
سوف يتوقف على نحلة الغيم هذه
وبعدها
سوف يقف الضوء على باب توما ضريراً
وربما يقلب بعصا الوحدة
الأفاريزَ
والشوارعَ
بحثًا عن بصلةٍ
ناشفةٍ

تشبه عشبة الحقيقةِ
ما الذي يقوله المغني الضرير
على باب توما
لجيتارٍ يعزف الهاويةَ
بيدين مبصرتين
وفم
أدرد؟!

أيتها الغيمة واصلي النشيد

لطالما غنيت
مثل كوكب وحيد
ولكن بلا صوت
لطالما
غنيت
مثل نجم
ولكن بلا جناحين أو حتى قفازات
أنا الذي أفتح نوافذ النهار
وفي الليل أنام مثل نافورة بأخطائي
وأركن الزمن بأشرعته الهائلة تحت مخداتيْ
لم يكن لي حظ
أنا البحار الأعمى
أن أراقب الريح
وهي تخرج من برزخٍ إلى برزخٍ
ولم يمهلني الحظ
أن أكتب اسم حبيباتي
على جدران الزمن
بفرشاة من نار ودخانْ
ولم أكن أعرف كيف أقود سفينة العالم

الغارقة هذه لكي أمنح السلام والحب
فقط غنيت
بعينين
ويدين
وقلب!!

الحبة السمْرَة أو الكلب في المقهى

كلب أسودْ
ينام في المقهى
ينام هادئـًا
ومعطلاً أحلامه
ينتقل من مكانٍ
إلى مكانٍ
لا يرقب الزمن
إلا من خلال المطر
والشمس
ولا يسمي أحلامه
سوى خشبة الليل
بينما يرقب العالم
من فوهة مؤخرته !!

ناريمان الفقي

في مدرسة تلبنت أبشيش الابتدائية يولد الفجر أيضـًا!!

هل كنت تدركين معنى الزمن
وأنت تجلسين في أول الصف في ذلك الوقت من العام 1964
وتلفين حول عنقك شالاً من الكشمير الأبيض
الذي يشبه حفيف الملائكة
فما شفتك المنداة بحليب العصافير

وحبات التوت الصيفي
لا تكاد تفصح عن كلمة واحدة من ذاتها
خشية أن يفلت الكلام من علبه الملونة
وأشجارهِ
التي تخبئينها في جيب مريلتك القطنية
وبين دفاترك وأوراقك التي تمتلئ بالطباشير والفراشات التي تهبُّ من صيف تلبنت أبشيش الحارق
لتنام تحت ظلك مثل شجرة من الكمثرى
أنت أيتها الرسولة الخارجة من إطار الزمن
والمتمنعة بقسوة حتى على الزمن نفسه
مثل أيقونة من الذهب الخالص والغناء الفارسي
لا
لم نكن نعلم – أنا وأنت – على الأقل في ذلك الوقت
أن الزمن هذه الأنشوطة المليئة بالقطارات المتعاكسة والأكاذيب
يمكن له أن يطعم أرواحنا الراسخة بمياهه الكثيفة السوداء
ولم نكن نعلم كذلك أن الزمن ذلك الوحش الضرير
بأصابعه العنكبوتية يمكن أن يقطف من على أشجارنا النيئة تلك الضحكات التي جمعناها معـًا من على الندى ليلقى بها كالعليقة فوق أشجاره الشوكية ومياهه الضحلة المؤجلة !!
أيتها الخضراء دائمـًا
كلما أمرُّ من أمام مدرسة تلبنت أبشيش الابتدائية المشتركة أكتشف أن قلبي ذلك العابر بنعالٍ من ريح وضحكات لا يزال قابعـًا في تلك الفصول المتراصة في الذاكرة وعلى نفس المقاعد التي علاها الصدأ والنسيان وأنني ذلك الصغير الذي يكره التاريخ والجغرافيا ومعلم الحساب والنحو فيما ينظر إلى الشمس التي تشع من عينيك بينما صوتك الذي يشبه موسيقا الغرفة لا يزال يقف بمفرده في طابور الصباح لكي يحيّي النهار مثل صوت أسمهان الجريح فوق صخرة مطروح فيما كافة
العصافير التي تمر بالذاكرة تتوقف لكي ترفع قبعاتها الملونة وأجنحتها المبللة بالدمع لتسمع نشيدك الخالص لشجرة السابوتةِ والتي كنتِ تفضلينها على كافة الأشجار

داخل فناء المدرسة
بينما الشمس تلك الأخت الرضيعة لضحكتك الخضراء تتسلل من الفناء الخلفي
للمدرسة لكي تضع كراريسها وأصابع حليها وعلب ألوانها لتتعلم من شفتيك
الكهرمانيتين كيف تستقبل الصباح بشكل يليق دائمًا بالصباح ولتقف وراءك في طابور
الصف الرابع الابتدائي في انتظارِ أن تسمحي لها بالخروج إلى السكك والشوارع
هل ما زال صوتك الذي يشبه الكمانات دائمًا يشبه الكمانات دائمًا؟
أم أنك ومن فرط ولعلك الطاغي بالموسيقا قد علَقتِ كافة السلالم الموسيقية فوق
إطار خشبي لصورة الزمن وهو ملفوف بشرائط الحداد التي تعلن أن الغياب هو
الشرط الوحيد للوجود
ناريمان!!!
لا شيء يشبهك وأنت في الصف الرابع الابتدائي؟!!

سركون بولص

قطعًا
سيسلك هذه الدروب التي انحنت أوراقها على خطواتنا
ولم يكن ليدنا التي تعمل مثل كوكب خرب
أن تعرف الطريق إلى هذه الأرض
ولم يكن لهذا الجسد أن يغسل تراب نوافيره بمناقير الطيور
التي تقف مثل كوابيس مؤجلة على ساحة السماء الراسخة
لتؤسس لموسيقا الرغبة
أما آن لتلك الفراشة أن تنام على سرير الليل
أما آن لهذا النهار
أن يتوقف ولو لدقيقة واحدة
على سن إبرة
قطعًا
سيمسك بأصابع البيانو
ليعزف عليها نغمة التراب
ولن يكون هناك سوى الضوء

ذلك العراف الأعمى
لأوركسترا الفراغ !!
توقفي أيتها الفراشات التي تسير على شرنقة العدم
إلى أن ينتهي العالم
على شفا جرف هار
أو على مسافة كافية
من الجحيم
ذاته.